حول الاسراء والمعراج

بقلم الاستاذ: حسنى طه شكيان

(٢)

مع الصوفية ثانية :

وبعض الصوفية الكرام يقبلون هذا الرأى بعد أن يدخلوا عليه تعديلا ملخصه : أن روح الإنسان قبس من النور الكلى العظيم — الله نور السموات والأرض — وشعاع من روحه سبحانه وتعالى — فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين . . ، وبهذا القبس الربانى كان الإنسان خليفة الله فى الوجود دون الجن والملائكة الكرام . ثم هذه الروح فى الإنسان أحاطت بكل شىء ، قال الله تعالى — «وعلم آدم الأسماء كلها» فقد طبع الله الحكيم فيها علم كل شىء فى لحظة مع أن ذلك قد غاب عن الملائكة وهم سكان الأرض والسموات من قبل آدم بأجيال لا حصر لها ..

ومعنى ذلك أن الإنسان إذا ماتسامت روحه فإنه يشاهد الماضى والمستقبل ، ويرى الأرض والسموات وما فيهما من آيات رائعات ، بل مافوق السموات !!

فليس عجيبا — على المصطفى الكريم أن يدرك ببصيرته مافى روحه من علم هو فوق كل العلوم جميعها فيرى الوجود كله ، بل يرى ربه . . وهل الإنسان إلا صورة ربه ؟ ففى الحديث ـ خلق الله آدم على صورته ـ وليست صورة الله فى الإنسان إلا تفسير قوله تعالى — ونفخت فيه من روحى — وبهذا كان خليفته ، وعلم العلم كله ..

وفى هذا يقول قائل الصوفية الكرام .. واعجبا من قوم يتصورون المعراج تصوراً ماديا سقيما .. فهل غاب الله العظيم عن الوجود ؟ وهل بعد الرسول عن ربه ؟ وهل احتاج للانتقال عبر الآفاق وهو معه ؟ ليس الأمر ياقوم إلا أن :

انعكس نور البصر فى نور البصيرة ،

فرأى من ليس كمثله شىء من ليس كمثله شىء .

انعكس نور بصر المصطفى — صفوة الخلق جميعا ورحمة الله للعالمين - فى نور بصيرته فشاهد من ليس له نظير فى الوجود ، من ليس له نظير ولا كفء ولا قرين ولا شريك . شاهد المصطفى الكريم ربه العظيم ، ومن دون ذلك كل رؤيته .. شاهد القدس والأنبياء والملائكة والسموات والجنة والنار ، وشاهد العرش وموكب التكريم .

والعلم الحديث يقدم تفسيراً ماديا هنا .. هو هذه الفوتوغرافيا - الكودالا الألكترونى - ذلك الذى يلتقط مليون صورة فى الثانية الواحدة ومن ثم لا غرابة للكيان النفسى الحى أن يشاهد الوجود كله فى لحظات .. فيرى الإنسان الكامل الوجود ويرى فى ذاته صورة ربه العظيم من غير كيف أو حصر . فنى الروح كل شىء فكيف بروح سراج الوجود ؟

مع العلم الروحى الحديث :

يرى — بعض علماء الروحية — أن الإسراء والمعراج تم بما يسمى بالطرح الروحى ، وهو هبة يمنحها الله للكرام من خلقه فيستطيع وهو جالس بين أصحابه أن يطرح روحه إلى أى بلد يشاء ، فيرى فيها كل شىء بل قد يتجسد فيراه الناس أيضا ، وبذلك يحس بما يدور حوله فى هذه البلد ، وقد يحس بما يدور حوله من أصحابه ، فيدرك فى مجالين إدراكا حقيقيا واعيا ..

فليس عجيبا على كريم الكرماء — محمد قائد موكب النور إلى الله — أن يطرح روحه إلى سموات ، بل إلى مافوق السموات ، فحين أسرى به تجسد فى بيت المقدس بجسد آخر مع بقاء جسده الأول فى مكة ثم صلى بالأنبياء ثم عرج به إلى السموات ، ومن ثم فلا حاجة إلى التجسد فى مجال النور وخلق النور ، حيث لا طبيعة تتسق مع الجسد المادى هناك ...

مع الصوفية ثالثة :

وبعض الصوفية لا يمنعون ذلك ويقدمون دليلا عليه نظرية البدلاء - وأن بعض الكرام قد يكون له ٤٠ بديلا يعيشون فى وقت واحد فى أربعين مكانا مختلفاً وفى مجالات شتى ، ويحدثوننا عن أهل الخطوة الذى يصلون دائما فى الكعبة أو فى المسجد النبوى أو فى بيت المقدس ، ويحجون فى كل عام من غير سفر أو تجشم أعباء .. حيث تطوى لهم الأرض والسموات . والحديث فى هذا مستفيض .. وفى نظيره تسخير الريح لسليمان الكريم عاصفة تجرى

بأمره غدوها شهر ورواحها شهر ..

وقد حدثتنا كتب الصوفية كثيراً عن ذلك ، وحدثنا الشيخ طنطاوى جوهرى فى تفسيره الجواهر عنه من وجهة نظر العلم الروحى الحديث ..

ولعل هذا هو رأى السيدة عائشة رضوان الله عليها حيث قالت : « والله مافقد جسد رسول الله » ومعها فيه معاوية وبعض الصحابة ..

والآن أنتقل بكم إلى إلهام كريم فى فقه جامع ...

فقه جديد :

إنه فهم كريم فى مجموع هذه الآراء وفهم كريم لحقيقة الإنسان كما صورتها فهوم الصوفية الكرام وكما هو فى حقيقته ماالإنسان ؟ وماالأرض؟ وماالسموات وماذا فوق السموات ؟ الإنسان فى حقيقته : قبس النور الكلى ، خلقه الله لنفسه من روحه وسخر له الأرض وما عليها والسموات ومافيها ومن فيها وأودعه علم الوجود كله ، وسر الوجود كله ، ونور الوجود كله ، فالجن فى خدمته إذا أراد ، وليسوا بشئ كبير ، والملائكة من جنوده وليسوا على علم محيط ، فهو أستاذهم لأول مرة يظهر فيها للوجود ، بأمر الله فيعلمهم بأمره علم الأسماء كلها فالأرض تحت تصرفه ، والسموات جارية فى خدمته ، ولو شاء لأحاط بها ، ولصعد إليها ولسخرها ومافيها من طاقات عالية فى إسعاده كما سخر الأرض، ولأمر الملائكة الكرام (بنور الله فيه) فكانت له من الطائعين ..؛ فهو المقصود من الوجود كله، والوجود كله فى خدمته بسر اصطفاء الله له وفى ذلك يقول على كرم الله وجهه :

دواؤك فيك وماتشعر ... ودواؤك منك وماتبصر .

وتزعم أنك جرم صغير ...وفيك انطوى العالم الأكبر .. ، فلو أدرك الإنسان كيانه لكان كل شئ فى الوجود بأمر الله .

وإليكم براهين ذلك من القرآن العظيم : الإنسان قبس من نور الله وروحه : « فإذا سويته ونفخت فيه من روحى . » وبه صار خليفة : « إنى جاعل فى الأرض خليفة » فكان خليفة وحده دون الملائكة وقد تطلعوا ، ودون الجن وقد تعاظموا أن يكون سواهم لها . « فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ، فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس . » ومن ثم فالملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للإنسان وهم الحفظة عليه وفى خدمته : « تكاد السموات يتفطرن

من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض . » « له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله » « إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا . » « بلى إن تصبروا وتتقوا ـ ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين . » « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة . . . نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخـــرة . . . » سورة فصلت. وفى الحديث القدسى « يا ابن آدم خلقت الدنيا من أجلك فلا تتعب وخلقتك من أجلى فلا تلعب . » ومثله آية فى التوراة ، وفى معناها يقول الله تعالى : إنى جاعل فى الأرض خليفة . . » « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » ومن هنا كان الملائكة مسخرين لخدمته ، وهو معنى سجودهم له . أما الجن فلتعاظم أبيهم إبليس على السجود طردوا من رحمة الله إلا القليل من طوائف الجن ، ومن ثم اكتفى آدم بنصرة الملائكة عن الجن حتى إذا طلب سليمان من ملك الله مُلكا . . . سخر له مردة وشياطين كل غواص وبناء ، وكراماً صالحين يأتون له بعرش بلقيس فى مدى ساعة قضائه ثم أظهر الله ما فى الانسان من قوى روحية خارقة أحضرته فى لمح البصر لا كما يحضره رئيس الجن فى ساعة أو ساعات، فكانت مقارنة عـــلوية بين روحانية الإنسان ، وطاقة الجن ، كما ظهرت من قبل علمانية الإنسان فوق إحاطة الملائكة، حين علمهم آدم الأسماء كلها بأمر الله . . . ذلكم بعض حقيقة الإنسان من القرآن الكريم . ثم الأرض : ذرة فى الوجود مسخرة له بكل ما فيها حتى تصبح له بعقله وعلومه:

قد أخذت زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها . والسموات كذلك مسخرة له إذا شاء، بسر اصطفاء الله له . . قال تعالى : « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه » فكما سخر الأرض فكذلك يستطيع أن يسخر السموات كلها، وانظر لتقديم السموات فى الآية على الأرض إنها إشارة كريمة لبيان مجال الحقيقة الأصلى لروحانية الإنسان ، ولكنه أخلد إلى الأرض فهبط إليها بعد ما كان قطعة الخلود النورانى فى السموات ، بل وفى الجنات كان من قبل ، قال تعالى :

« وقلنا يا آدم أســـكن أنت وزوجك الجنة ... » « إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ، وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى . » وأنت فيها معلم الملائكة « قلنا يا آدم أنبئهم بأسمائهم

فلما أنبأهم بأسمائهم قال: ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون.» البقرة

والسموات التى كانت مرتعا كريما لآدم بل والجنـــات كذلك . . هى اليوم مباحة لمن أراد من الناس ما عرفوا سلطان الرقى إليها . . . فهم مطلوبون إليها دائما بأمر من الله العظيم: «يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفـــذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا . . لا تنفذون إلا بسلطان ، فبأى آلاء ربكما تكذبان . (٣٤ الرحمن) . فمنذا الذى يكذب الله وآيات عظمة الله ، وما أعطاه الله للإنسان الكريم من قوى ومن فضل؟! أما الجنات فقد صعد إليها إدريس فى حياته وهو على الأرض بجسده وروحه . وهو الآن فى الجنة أو فى السماء الرابعة — وعليه بعض المفسرين — قال تعالى : «واذكر فى الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا ، ورفعناه مكانا عليا . » وصعد إليها عيسى بذاته وسيعود منها إلى الأرض ليكمل رسالته ، نشراً للحق الذى جاء به محمد الكريم : قال تعالى : «وما قتلوه وما صلبوه ، ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ، مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيما . وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا» وفى رأى بعض المفسرين ومعظم الصوفية الكرام : «أن الخضر مازال حيا بجسده . وأن له القدرة على صعود السموات والجنان ، فقد منح هبـــة الروحانية المؤثرة التى تحيى الموتى فأحيت لموسى الحوت ، وتخضر له الأرض وتنبع الماء ، وله اختراق الحجب وقراءة اللوح المحفوظ . . قال تعالى «فوجدا عبداً من عبادنا . . آتيناه رحمة من عندنا ، وعلمناه من لدنا علماً . »

وهل يعجب بعض الناس — سامحهم الله ، وأنار بصائرهم — من عروج الإنسان الكريم فضلاً عن الأنبياء جميعا إدريس وعيسى والخضر وغـــيرهم — فضلا عن نبى الأنبياء الأكرم صفوة الخلق جميعاً ورحمة الله للعالمين — هل يعجبون ، والله ينادى الإنس والجن أن يصعدوا إلى السموات إذا عرفوا لها سلطانها ، وأن يسخروها فهى لهم مباحة «يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفـذوا من أقطار السموات والأرض فانفـذوا لا تنفذون إلا بسلطان ، » «وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا

منه » ، ثم كيف يعجبون ، وقد كانت السماء مباحة للجن جميعا ، صالحهم وطالحهم، قال تعالى « وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهباً وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصداً » فكان ذلك الحجب بسبب إشراق النور المحمدى على الأرض . ثم كيف يعجبون أن يصعد المصطفى إلى السموات العلى بجسده وروحه .. والجسد كما يقول العلم الحديث من النور ككل شيء من النور . « الله نور السموات والأرض » .

والسموات نفسها من مادة متسامية من المادة فى الكون المادى .. قال تعالى أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما . . . » فالسموات والأرض من أصل واحد ، والسموات هذه ليست بكل فى شيء الوجود ، بل إنها بعض آيات الله تعالى : ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير . »

وسيجمع الله خلائقهما فى الآخرة ، ويدعو خلائق الأرض لتصعد إلى خلائق السموات اليوم بسلطان التسخير والخلافة عنه . . . فيجمعهم سبحانه بسر ما أودعه فى أرواحهم .

بل إن السموات من الكون المتلاشى إلى كون آخر ، أما الإنسان فإلى رقى موصول بقرب الله العظيم ، وخلود فى رحابه : قال تعالى « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات » والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات » « يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعداً علينا إنا كنا فاعلين . »

أما الإنسان الذى أدرك حقيقته ومكانته فيعلو إلى رحاب ربه من فوق السموات : : « إن المتقين فى جنات ونهر ، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر »

تلك قضية الإنسان إذا عرف نفسه عرف ربه » كما يقول الرسول الكريم، ومن عرف ربه أحاط بكل شيء أراده الله العظيم له . . .

تلك قضية الإنسان الكريم خليفة الله فى أرضه وفى سمواته وضيف الرحمن فى جناته فكيف يتعجب الناس — هداهم الله — من عروج المصطفى الكريم بكيانه كله جسداً وروحاً وذاتا فى يقظة ووعى كاملين محيطين بكل شيء أريد له ، فما زاغ بصره وما طغى ، وما جاوز الحد والأدب ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى ، . وليست السموات العلى من آيات الله الكبرى بل هى آية كريمة، لأنها ستطوى وتبدل فليست بخالدة ،

وإنما ما فوق السموات خالد من جنة عرضها السموات والأرض لا مقطوعة ولا ممنوعة ، خالدين فيها أبداً ، فتلك آية واحدة من آيات الله الكبرى التى رآها المصطفى صلى الله عليه وسلم ... ياقوم أقصروا : فالحضرة المحمودية حضرة العبودية الكاملة فى مقام الحضرة الربانية يتجلى الحبيب على الكامل فى كيانه رحمته للعالمين ومصطفاه من خلقه أجمعين . . فدنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى . . لقد رأى من آيات ربه الكبرى . . » حتى لقد رأى من ليس كمثله شىء فى الخلائق ، من ليس كمثله شىء فى الوجود ، وصدق أبو بكر الصديق فى قوله . . « وكيف لا أصدقه وأنا أصدقه فى أكبر من ذلك . . أصدقه فى خبر السماء ينزل عليه » ، أصدقه فى معية الاصطفاء وعلوية الاختيار فوق العالمين ، فعراجه بعض تكريمه . . حتى يقوم الخلق جميعاً فيشهدون على تكريمه ، قائداً لركب الوجود بين يدى الله العظيم ، وشفيعاً للوجود بأمر الله الكريم « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيداً » ياقوم : أقصروا فنور الوجود ورحمته فى حضرة الرب الأعظم « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » « لقد رأى من آيات ربه الكبرى » . « ولسوف يعطيك ربك فترضى ... »

كلمات فى التصوف

لسيد الطائفة أبو القاسم الجنيد

- التصوف هو صفاء المعاملة مع الله تعالى .
- ما رأيت أحداً عظم الدنيا فقرت عيناه بها إنما تقر بها ، عين من صغرها وأعرض عنها .
- النية الحسنة يفتح الله بها سبعين بابا من التوفيق ، والنية السيئة تفتح سبعين بابا من الخذلان .
- أقوى القوة أن تغلب نفسك . ومن عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز .
- شر الناس للبيت أهله ، يكون عليه ولا يهون عليهم قضاء دينه